بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده - سبحانه وتعالى - ونستعينه ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق فسوى، وقدر فهدى، وأخرج المرعى فجعله غثاءً أحوى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بيَّن الغاية التى من أجلها بعثه الله - سبحانه وتعالى - فقال: «إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق» (١).

وبعـــــد . . .

فقد لُوحظ أن قطاعًا كبيرًا من الناس يصلُّون، ويصومون، ويزكون، ويحجون، وربما تعدوا ذلك إلى النوافل والمندوبات؛ ولكن رغم ذلك لا أثر لهذه العبادات على سلوكهم وأخلاقهم، فقد تجد المصلى يغُش ويكذب، ويغتاب الناس، وقد يأكل أموالهم ظلمًا، وقد يهتك أعراضهم، وقد تجد الصائم يسب ويقذف، ويفعل الموبقات، وقد تجد المزكى يَمُنّ على من يعطيه ويؤذيه، وقد تجد الحاج يلتهم أموال الناس بالباطل، وهؤلاء جميعًا؛ إما أن يكونوا لا يعيشون هذه العبادات بأرواحهم وقلوبهم ابتغاء مرضاة الله، فأداؤهم لها أداء صورى شكلى لا جوهرى؛ وإما أنهم يفصلون بين العقيدة والأخلاق، وبين العبادة والمعاملة، فشعارهم أن العبادة شئ، والحياة شئٌ آخر. فهم يَقْصرون العبادة على مجرد أدائها، فهؤلاء أصيبوا بانفصام فى الشخصية؛ فهم فى المسجد أولياء

---

(١) رواه الإمام مالك فى الموطأ - ورواه أحمد فى مسنده بلفظ (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) من حديث أبى هريرة - وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح [انظر جـ١٧ حديث رقم ٨٩٣٩].

صالحون، وخارجه ذئابٌ ضوار ... فهؤلاء ما فهموا العبادات حق الفهم، ففى الحقيقة ما فرضت العبادة إلا لتهذيب الأخلاق، وتقويم السلوك - فضلاً عن أنها طاعة مطلقة لله فلقد سأل الرسول ﷺ أصحابه ذات يوم فقال: «أتدرون من المفلس؟. قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال ﷺ: المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار» (١).

فهذا الفهم السقيم، والسلوك المعوج دفعنى لأن أكتب فى هذا المجال، فهى محاولة متواضعة، حاولت أن أبين أولاً دور العبادات فى تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق، وكيف أن العبادات إذا لم تقم بهذا الدور فلا فائدة فيها، ثم بعد ذلك عرضت للحديث عن بعض الأخلاق الإسلامية، ولم أرتبها بحسب أهميتها ولا ضرورتها - من وجهة نظرى - ومنهجى فى الاستدلال أن أستدل بالقرآن أولاً - إن وجدت فيه ما يدل على ما أريد أن أقوله - ثم السنة المشرفة فأستدل بالصحيح لذاته، والصحيح لغيره، والحسن لذاته والحسن لغيره، وقد أستشهد بالحديث الذى أختُلف فى تصحيحه وتضعيفه ما دام مندرجًا تحت أصل معمول به، ويكون على سبيل الاعتبار والاستشهاد ثم يعد ذلك أعرج على أقوال وأفعال السلف الصالح - رضى الله عنهم أجمعين - وفى نهاية كل موضوع أخص العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية ببعض متطلبات الدعوة، وكيف تتأصل هذه الأخلاقيات فى العاملين فى حقل الدعوة ...

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

ربيع إبراهيم محمد الشيخ

القاهرة فى:
الأحد ٦ من جمادى الأولى ١٤٢١ هـ
الموافق ٦ من أغسطس ٢٠٠٠ م

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة ورواه أحمد فى مسنده جـ١٧ حديث رقم ٨٨٢٩.